عقيدة الطبيعة الواحِدة

كنيسة مارجرجس بسبورتنج

ظهور بدعة الطبيعتين

في

التاريخ

بدأ النقاش حول طبيعة السيد المسيح في بداية القرن الخامس الميلادي. وأثار هذا النقاش نسطور بطريرك القسطنطنية، الذي للأسف الشديد أدى إلى انقسام الكنيسة. وسنعرض الآن المراحل التاريخية التي مرت بها هذه البدعة وكيف انتهت إلى انقسام الكنيسة.

أولاً: بدعة نسطور

أراد نسطور بطريرك القسطنطنية أن يفسر كثير من الحوادث التي ظهر فيها السيد المسيح بمظهر الضعف، ولما عجز عن إدراك الأسرار الإلهية في التجسد أفتى بأن للسيد المسيح طبيعتين وشخصيتين، واحدة إلهية والثانية ناسوتية (أي إنسانية). وكان يفسر الإنجيل على هذا الأساس، فمثلاً لا ينبغي أن نسمي السيدة العذراء والدة الإله بل والدة جسد المسيح، وعاب على المجوس سجودهم للطفل وحذف الجزء الأخير من الثلاثة تقديسات (يا من ولد من العذراء – يا من صلب عنا – يا من قام من الأموات... ارحمنا)... وتعذر عليه تفسير آلام السيد المسيح وقضية الفداء لأنه قال إن الذي مات على الصليب هو جسد الإنسان يسوع وبذلك يكون الفداء تم بدم إنسان واستند لرأيه بكلمات السيد المسيح التي تكشف عن الضعف والألم... إلخ

البابا كيرلس الكبير السكندري عمود الدين

هيأت العناية الإلهية البابا كيرلس (٤٢٩ م) للرد على نسطور، فأرسل له خطابًا يشرح فيه كل ما يختص بطبيعة السيد المسيح قائلاً "إن مريم العذراء لم تلد إنسانًا عاديًا بل ابن الله المتجسد. لذلك حقًا هي أم الرب وأم الله... وإن الكلمة لأجلنا ولأجل خلاصنا أخذ جسدنا واتحد به – وصار جسدًا (يو ١: ١٤). وسماه القديس متى عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا. وأما القديس مرقس فذكر لنا أن رئيس الكهنة عندما سأل السيد المسيح قائلاً: هل أنت ابن الله. رد عليه قائلاً "نعم أنا هو وسوف ترون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا في سحاب السماء" (مر ١٤: ٦١-٦٢)... وبيّن أيضًا القديس كيرلس في الرسالة أن اتحاد اللاهوت بالناسوت أشبه باتحاد النار بالحديد. فالحديد لا يُصاغ ما لم يكن محميًا بالنار، وحين يطرقه الحداد يقع الطرق على الحديد وحده دون النار مع كونها متحدة به – وهذا الاتحاد بين النار والحديد اتحاد لا يشوبه اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. فالنار تظل محتفظة بطبيعتها النارية، والحديد يظل محتفظًا بطبيعته الحديدية. وعلى هذه الصورة اتحد نار اللاهوت بمادة الناسوت[١].

انعقاد مجمع أفسس سنة ٤٣١م

دعا إليه الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير، وحضره ٢٠٠ أسقفًا، ورأسه القديس كيرلس الكبير وكان يصاحبه الأنبا شنودة رئيس المتوحدين. وقرر المجمع حرمان نسطور ونفيه إلى مدينة أخميم، وحرمان من ينادى بعقيدة الطبيعتين. ووضع مقدمة قانون الإيمان التي صاغها القديس كيرلس وهي "نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها القديسة **والدة الإله** لأنكِ ولدتِ لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا...". **وبهذا تكون الكنيسة القبطية وعلى رأسها القديس كيرلس هي التي ثبتّت للسيدة العذراء لقب والدة الإله أم النور.**

[١] راجع قصة الكنيسة لإيريس المصري الجزء الأول ص٣٩٣-٣٩٥.

ثانيًا: بدعة أوطاخي

كان أوطاخي رئيسًا لدير للرهبان بالقسطنطينية، وقد غالى جدًا في مقاومة النساطرة (أتباع نسطور) مما جعله يهوى في بدعة مضادة. وهذه البدعة تقول "إن للسيد المسيح طبيعة واحدة لاهوتية، وأنه لم يتخذ من الحشا البتولي جسدًا مماثلاً لجسدنا ولكنه مر به مرورًا خياليًا". وهذا يعني أن الطبيعة اللاهوتية لاشت الطبيعة الناسوتية.

خاف فلابيانوس بطريرك القسطنطينية من البدعة الجديدة وبدأ يقاومها بشدة مما جعله يؤكد بإفراط الطبيعة الإنسانية ووقع بدون أن يدري في بدعة نسطور وتبعه في هذا التيار بطريرك روما. وهكذا بدأ الغرب ينحرف من جديد نحو النسطورية (مذهب الطبيعتين) الذي سبق أن حرمها مجمع أفسس الأول برئاسة كيرلس السكندري عمود الدين. لذلك انعقد مجمع أفسس الثاني برياسة البابا السكندري ديسقورس وحرم فلابيانوس.

ثالثا: تكتل القسطنطينية وروما

ضد البابا ديسقورس

بعد موت الملك ثيؤدوسيوس بدون نسل، اندفعت أخته الراهبة بوليكاريا نحو الملك ونقضت نذر بتوليتها وتزوجت من القائد الشرير مرقيان. واعترض جميع الأساقفة على زواج راهبة، ماعدا أسقف روما أعطاها الحل بالزواج. ومن هنا توطدت العلاقة بين أسقف وروما والملكة بوليكاريا. وبعد أن أصبحت بوليكاريا ملكة وخضع لها بطريرك روما، أصبحت لا تطيق أي نفوذ بجوار نفوذها وخاصة البابا السكندري الذي ذاع صيته في المجامع المسكونية. ولقد كانت الفرصة مواتية لبطريرك روما ليطلب العفو عن فلابيانوس المحروم رغم أنه كان قد مات الذي سبق

أن حرمه البابا ديسقورس في مجمع أفسس الثاني. فأرسل لاون أسقف روما إلى الإمبراطور طالبًا منه أن يعقد مجمعًا لتبرئة فلابيانوس. وبذلك يكون أسقف روما هو الذي فتح المجال للجدل من جديد... ولم يكن يدري أنه بذلك أخطأ أعظم خطأ في تاريخ الكنيسة الذي انتهى بانقسامها. وانتهزت الملكة الشريرة هذه الفرصة لتزج بنفسها في أمور الكنيسة ووقفت جنبًا إلى جنب مع أسقف روما... فدعت إلى عقد مجمع خلقيدونية.

رابعًا: مجمع خلقيدونية

وانقسام الكنيسة منه

ما أن انعقد المجمع حتى وقف أساقفة روما مطالبين بمحاكمة البابا ديسقورس، وتساءل الجميع لماذا؟... فكان الرد "لقد تجرأ ديسقورس على عقد مجمع أفسس الثاني بدون ترخيص من أسقف روما". ومن هذه العبارة ينكشف لنا أن السبب في عقد المجمع لم يكن هو الدفاع عن العقيدة بل حب سيطرة الغرب على كنيسة الإسكندرية.

واتُهم ديسقورس أنه يعتقد بعقيدة أوطاخي، ورد عليهم البابا المعلم بأن إيمانه هو إيمان كيرلس وأن الطبيعة الإلهية اتحدت بالطبيعة الناسوتية بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير – وهذا عكس ما يقول به أوطاخي أن الطبيعة اللاهوتية لاشت الطبيعة الناسوتية بعد أن امتزجت بها.

ثم توالت التهم على ديسقورس بعيدة كل البعد عن العقيدة ومنها أنه يحرض المصريين على عدم إرسال القمح إلى القسطنطينية. وتهمة أخرى أنه قتل فلابيانوس... وتهمة أخرى أنه قَبِلَ أوطاخي بعد أن تاب واعترف بإيمان كيرلس... وحكم هذا المجمع المزيف بحرمان ديسقورس ونفيه في جزيزة غاغرا.

خامسًا: اضطهاد الكنائس التي تؤمن بالطبيعة الواحدة

بعد ذلك أصدر الإمبراطور أمرًا بتعيين بطريركًا آخرًا بدل البابا ديسقورس، وأرسل رسالة يتوعد فيها كل مصري يجرؤ على عصيان أوامره. ولكن هذا التعسف أدى إلى عكس ما كان يرجوه الإمبراطور، فإن المصريين ثاروا في وجه هذا التعسف البيزنطي. ومثل هذا حدث في كنيسة أنطاكية (سوريا) وكنيسة أورشليم.

وظل البطريرك الذي يفرض على الإسكندرية يونانيًا حتى جاء المقوقس البطريرك اليوناني الذي تولى السلطة المدنية مع الدينية. ولقد أذاق المصريين ألوان العذاب... وهرب من وجهه البطريرك المصري البابا بنيامين (٣٨) وبقية الأساقفة... ولقيت الكنيسة المصرية من كنيسة الغرب اضطهادًا شبيهًا باضطهاد القرون الأولى... إلى أن دخل عمرو بن العاص مصر وأعطى المصريين الأمان وعاد البابا بنيامين إلى كرسيه بعد أن زال سلطان روما والقسطنطينية من على مصر.

ومن عصر خلقيدونية إلى يومنا هذا انقسمت الكنيسة إلى قسمين: كنائس تؤمن بالطبيعة الواحدة (وهي كنيسة الإسكندرية وأنطاكية وأورشليم) وكنائس تؤمن بالطبيعتين (وهي روما والقسطنطينية). ومازالت الكنيسة إلى يومنا هذا تقاسي آلام هذا الانقسام.

بدعة الطبيعتين

في ضوء

العقيدة الأرثوذكسية

بدعة نسطور:

نادى نسطور بأن للسيد المسيح طبيعتين وشخصيتين وأنه لا يصح أن نسمي العذراء والدة الإله بل والدة يسوع في الجسد... وأن هناك أحداث تمت على الصليب مثل الإهانات لا تليق بالله. وبذلك فصل الطبيعتين. وسنعرض فيما بعد اعتراضاته والرد عليها. والحقيقة أن الفكر الغربي في ذلك الوقت لم يصل لدرجة نضج الفكر الشرقي في الأمور اللاهوتية والعقائدية وخاصة موضوع تجسد الله. والكنيسة تسميه **سر التجسد** لما يحوط به من أسرار إلهية تحتاج إلى عمق روحي لفهمها. والكتاب المقدس ذاته يقول "عظيم هو **سر التقوى** الله ظهر في الجسد" (١ تي ٣: ١٦).

والفكر النسطوري (عقيدة الطبيعتين) هو بلا شك الأساس العقائدي للفكر البروتستانتي من ناحية أن العذراء ليست والدة الإله. كذلك هو الأساس الفكري للديانات التي ترى في السيد المسيح إنسانًا فقط حل عليه روح الله وليس هو الله، كذلك هو الأساس لوجود فكرة الطبيعتين بعد الاتحاد الموجودة في كنيسة روما والقسطنطينية.

ورغم أن مجمع أفسس حرم نسطور إلا أن فكره مازال ينتشر بصورة أو بأخرى في القسطنطينية وروما حتى جاء مجمع خلقيدونية كما سبق وذكرنا. بعد ذلك انتشر النساطرة في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس في العراق وجنوب فلسطين

وشمال الجزيزة العربية. ولازال بعض النساطرة حتى الآن في بعض بلاد العراق وحدود إيران وفي بلدة ملبار بالهند.

بدعة أوطاخي:

نادى أوطاخي أن للسيد المسيح طبيعة واحدة لاهوتية وأن لاهوته مرّ مرورًا في الحشا البتولي، وأن جسد السيد المسيح جسد خيالي وأن الطبيعة اللاهوتية لاشت الناسوت. وللأسف مازال الغرب يعتقد أن الكنيسة القبطية كنيسة أوطاخية مع أن الكاهن دائمًا يعترف في القداس أن اللاهوت **لم يمتزج بالناسوت** ويقول "... إن هذا هو الجسد المحيي الذي لابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، أخذه من سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة مريم **وجعله واحد مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير**" إذًا فالكنيسة بريئة من الفكر الأوطاخي.

إيمان الكنيسة القبطية بالطبيعة الواحدة[1]

✞ "إن للسيد المسيح طبيعة واحدة تجتمع فيها الصفات والخصائص الناسوتية وجميع الصفات الإلهية بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير – وهذا هو الإيمان الذي يجاهر به الكاهن القبطي في القداس".

✞ "السيد المسيح إذن **من طبيعتين – وليس هو طبيعتين بعد الاتحاد** – كما يقول البابا ديسقورس". واللاهوت لم يمتزج بالناسوت ولا اختلط به وإنما اتحد به. واتحادهما ليس من **قبيل المصاحبة** أو الاجتماع أو الاقتران ولكن اتحاد بالمعنى الحقيقي لكلمة اتحاد... ولا مجال للقول **بعد الاتحاد أن هناك طبيعتين (كما تقول كنيسة روما)، وإلا فلا يكون الاتحاد صحيحًا أو حقيقيًا.**

وكيف تم هذا الاتحاد بدون امتزاج؟

[1] عن كتاب تعليم كنيسة الإسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح لنيافة الأنبا إغريغوريوس أسقف البحث العلمي.

هذا الأمر ليس في مقدور الإنسان أن يدركه لكنه يؤمن به لأنه **سر**، لذلك سمي **سر التجسد الإلهي** والرسول يقول عنه "عظيم هو **سر التقوى** الله ظهر في الجسد" (١ تي ٣: ١٦). وإن كنا نتكلم أحيانًا عن الطبيعة اللاهوتية والناسوتية، **فهي تفرقة ذهينة لا وجود لها في الواقع بالنسبة للسيد المسيح – الإله المتجسد – الكلمة الذي صار جسدًا.** وكلمة صار لا تحمل معنى الثنائية. ولتقريب معنى الاتحاد بدون امتزاج إلى أذهاننا، ذكر لنا أبونا القديس كيرلس الكبير عمود الدين هذا التشبيه: إن اتحاد اللاهوت بالناسوت قد يشبه اتحاد الفحم بالنار في جمرة الفحم. ففي جمرة الفحم توجد صفات الإضاءة والإحراق، وفيها أيضًا صفات المادة من كتلة ووزن وحجم... كذلك تقول عن طبيعة الإنسان "الطبيعة البشرية" مع أنها مكونة من جسد وروح ولكنها طبيعة بشرية واحدة تحمل صفات روحانية ومادية معًا. مع العلم بأن جميع هذه التشبيهات ناقصة، فمثلاً في الطبيعة البشرية يحدث انفصال عند الموت بخروج الروح من الجسد.

لماذا تتمسك الكنيسة القبطية بعقيدة الطبيعة الواحدة التي لها صفات الطبيعتين بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير؟

أولاً: لا يوجد نص في الإنجيل يقول بالطبيعتين بعد الاتحاد، بل بالعكس كل النصوص تتحدث عن طبيعة واحدة لها صفات الطبيعتين.

١. "الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا" (يو ١: ١٤).

٢. "فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لو ١: ٣٥).

٣. سجود المجوس للطفل يسوع (مت ٢: ١١).

٤. "هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ..." (يو ٣: ١٥).

٥. "أنا هو الأول والآخر، والحي وكنت ميتًا، وها أنا حي إلى دهر الدهور ولي مفاتيح الموت والجحيم". فكلمة أنا هنا تحمل معنى طبيعة واحدة لها خواص اللاهوت (الحياة) وخواص الناسوت (الموت).

٦. "وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ". (يو ٣: ١٣).

٧. "اِحْتَرِزُوا إِذًا لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ" (أع ٢٠: ٢٨).

٨. "لأَنَّهم لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ" (١ كو ٢: ٨).

٩. "عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ" (١ تي ٣: ١٦).

ثانيًا: إن قول الكنيسة الغربية بالطبيعتين بعد الاتحاد لا يفسر إيمانها بأن العذراء والدة الإله، لذلك نرى أن الفكر البروتستانتي من ناحية العذراء مريم قد خرج من الفكر الكاثوليكي القائل بالطبيعتين بعد الاتحاد. لكن تعبير الكنيسة القبطية بالطبيعة الواحدة يفسر ببساطة الاعتقاد بأن العذراء والدة الإله المتجسد وتبعدنا تمامًا عن الفكر النسطوري ونظيره البروتستانتي القائل بأن العذراء والدة الإنسان يسوع. لذلك فرغم تكريم الكاثوليك للعذراء مريم لكن عقيدة الطبيعتين لم تسعفهم في محاربة البدع البروتستانتية التي هاجمت العذراء والدة الإله "أم ربي".

ثالثًا: إن القول بالطبيعتين بعد الاتحاد أدى إلى ظهور طوائف بروتستانتية متطرفة أنكرت لاهوت المسيح مثل طائفة شهود يهوه والسبتيين وعقائد مختلفة في العالم تنكر لاهوت السيد المسيح.

رابعًا: إن تعبير الطبيعتين بعد الاتحاد **يهدم قضية الفداء** والخلاص الذي قام به السيد المسيح. فعلى أساس الطبيعتين تكون الطبيعة الناسوتية هي التي أتمت

عمل الفداء، وأن الدم الذي سُفك دم بشري عادي وليس دم ابن الله. حقًا إن اللاهوت لم يتألم بآلام الصليب التي هي من خواص الناسوت. ولكن اللاهوت المتحد بالناسوت في طبيعة واحدة هو الذي أعطى الصليب قوته اللانهائية في الفداء كقول الرسول "... ارعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (أع ٢٠: ٢٨).

✞ ✞ ✞

حجج أصحاب الطبيعتين

والرد عليها

أولاً: ميلاد كلمة الله الذي صار جسدًا من امرأة. وفي ذلك يقولون إن الذي وُلد من العذراء هي طبيعة إنسانية كما سبق فقلنا.

والرد على ذلك إن هذا الاتحاد تم في بطن العذراء بسر عظيم. لذلك قال لها الملاك "لذلك فالقدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله"، "ويُدعى اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" وقال عنه الرسول "ولما جاء ملء الزمان أرسل ابنه مولودًا من امرأة تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني" (غل ٤: ٥).

ثانيًا: احتمال السيد المسيح للإهانة (اللطم والبصق والتجديف والسب والجلد). ولكي نفهم ذلك علينا أن نعرف:

١. أن الابن الكلمة المساوي للآب في الجوهر (صورة الله) **أخلى ذاته بإرادته وأخذ شكل العبد** محبة في الإنسان. وإذ وُجد في الشكل كإنسان أطاع الآب وكان يتكلم معه **كعبد**. وخضع للآب حتى الموت لكي يخلصنا كقول الرسول "إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون مساويًا لله لكنه أخلى ذاته آخذًا شكل العبد وإذ وُجد في الهيئة كإنسان أطاع حتى الموت موت الصليب" (في ٢: ٦). وأيضًا صرخ كعبد للآب وقال "إلهي إلهي لماذا تركتني" وكعبد قال "أبي أعظم مني" – لأنه بإرادته ترك مجده (أخلى ذاته) بإرادته ورضي كعبد أن يأخذ مجده من الآب نظير طاعته لذلك يقول "أيها الآب مجدني بالمجد الذي كان لي قبل كون العالم".

فحياة المسيح على الأرض بالجسد كانت حياة تخلية كاملة بكامل إرادته، مثل ملك عظيم جدًا في سلطانه، وعظيم جدًا في تواضعه، وعظيم جدًا في محبته لرعيته. هذا الملك خلع حلته الملوكية ولبس ملابس الجنود بإرادته ليساعد مخدوميه ويحارب

عنهم وينقذهم – لذلك احتمل كل إهانة في الحرب من أجلهم، وبعد أن انتصر وهزم أعداءهم رجع ولبس حلته الملوكية. ومع ذلك فشخصية الملك لم تتغير لأنه عندما أخلى ذاته – كان ذلك بكامل إرادته. كذلك فالسيد المسيح عندما جاء إلى العالم أخلى ذاته (خلع حلة مجده) من مجد لاهوته، ثم لبس لباس البشر (أي أخذ جسدهم)، وبعد أن قيد الشيطان رجع إلى مجده الذي كان له قبل كون العالم. لذلك جاء الرب للعالم وصار جسدًا وحارب عنا وهزم الشيطان.

٢. إن السيد المسيح جاء إلى العالم متخليًا عن مجده ليحمل خطايانا – خطايا الزنى والقتل والسرقة والحقد... لذلك فالإهانات من بصق وضرب ولطم وجلد ليست أكثر من شرور المرأة الزانية وإجرام اللص التي حملها عنهم. لذلك هو احتمل كل هذه الإهانات. ونحن نؤكد أن طبيعة السيد المسيح الواحدة تحمل الصفات الإلهية والناسوتية – والصفات الناسوتية قابلة للإهانة.

٣. السيد المسيح عندما أخذ جسدنا صار واحدًا منا – أخونا البكر. لذلك هو احتمل العقاب نيابة عنا وحارب الشيطان نيابة عنا، وانتصر من أجلنا – وتكلم بلساننا – لسان العبيد قائلاً "إلهي إلهي لماذا تركتني" – صار رأسًا للكنيسة وما يحدث للكنيسة يحدث له. لذلك يقول الرسول عنه "فدفنا معه بالمعمودية للموت" (رو ٦ :٣). وأقامنا معه.

فالكنيسة هي جسد المسيح، ولذلك هو ارتفع على الصليب نيابة عن البشرية كلها، وهو الذي أخلى ذاته تكلم كعبد بلسان كنيسته (جسده) إلى الآب إله الكنيسة قائلاً إلهي إلهي (أي إله الكنيسة التي أنا رأسها) لماذا تركتني (أي لماذا تركت الكنيسة التي أنا رأسها وهي جسدي).

ثالثًا: قول السيد المسيح لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك. فأصحاب الطبيعتين يقولون بوجود طبيعتين ومشيئتين بعد الاتحاد مستدلين على رأيهم من هذا القول والحقيقة:

١. أن السيد المسيح يتكلم نيابة عن الكنيسة (جسده) لكي يعلمها الخضوع لمشيئة الآب في قيادته لها خاصة لحظات الآلام.

٢. ليس هناك نص في الإنجيل يثبت لنا أن السيد المسيح تصرف تصرفًا واحدًا ضد مشيئة الآب – ومن ذلك نستنتج أن مشيئة الابن هي مشيئة الآب.

رابعًا: عندما سألوه عن الساعة فقال لهم إن هذه الساعة لا يعرفها أحد ولا الابن إلا الآب. يجب أن نتذكر أن السيد المسيح تخلى عن كل مجده في السماء، لذلك هو يعرف الساعة ولكنه تخلى عن حق إعلانها كعبد.

خامسًا: كيف مات السيد المسيح على الصليب؟

الموت يحدث بانفصال النفس من الجسد. والسيد المسيح مات على الصليب عندما انفصلت نفسه من جسده، ولكن لاهوته في طبيعته الواحدة لم ينفصل قط لا من جسده ولا من نفسه، لذلك **كانت القيامة أمرًا بسيطًا** لأن اللاهوت لم ينفصل لا من الجسد ولا من النفس.

خلاصة القول أن أصحاب الطبيعتين في الواقع يعبرون عن فهم لاهوتي سطحي – وأن كنيسة الإسكندرية المتعمقة في المعرفة الروحية واللاهوتية هي التي استطاعت أن تقود الفكر المسيحي العالمي للصواب.

خطورة الإيمان بالطبيعتين على العبادة المسيحية

أولاً: تجعل المسيحي في حيرة بالنسبة لكثير من الحقائق الخاصة بلاهوت السيد المسيح وأعماله.

ثانيًا: العبادة المسيحية تعتمد على وجود الله في حياة الإنسان، فالمؤمنون بالطبيعة الواحدة يحسون إحساسًا عميقًا بأن الله يدخل في أعماق حياتهم الروحية والمادية... فالكنيسة تصلي على الماء فيحل عليه روح الله ويقدسه ويعطيه قوة الولادة الجديدة، وهذا ما لا يستطيع أن يدركه الفكر البروتستانتي. والصور المدهونة بزيت الميرون فيها قوة الشفاء مثل مناديل وعصائب الرسول بولس التي كانت تشفي الأمراض وتُخرج الأرواح الشريرة... والمادة والطعام تتقدس بالصلاة.

ويحس المؤمن بالطبيعة الواحدة أنه هيكل للروح القدس – وأنه عضو في جسد المسيح – سواء كان على الأرض أو في السماء، وهنا يُدرك عمق العلاقة بين الإنسان المنتقل للسماء والإنسان على الأرض (أي شفاعة القديسين)... الخ.

ولكن الذين آمنوا بطبيعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد خرج منهم طوائف كثيرة، فلم تعترف بحلول الله في الأسرار السبعة لأنها أمور مادية – وأنكروا شفاعة المنتقلين للسماء والقديسين وأساءوا إلى جسد العذراء الذي سكن فيه الله تسعة أشهر وأخذ جسده منها...

لذلك نحن لا نتمسك بعقيدة الطبيعة الواحدة لمجرد الجدل ولكن لأهمية هذه العقيدة على عبادتنا وروحانيتنا. لذلك فالعقيدة الأرثوذكسية التي تؤمن بالطبيعة الواحدة لم يخرج منها بدعة واحدة، وإن وُجد في الكنيسة طوائف كثيرة فهي كلها مستوردة من الغرب.

القصد من هذا البحث

ليس القصد هو إشاعة الفرقة أو الجدل – فالسيد المسيح يريد كنيسة واحدة ويحزن لتمزق كنيسته، ولكن القصد هو الكشف عن الحقيقة التي إذا سعى إليها الجميع وصلوا للحق.

والحقيقة أن الكنيسة الكاثوليكية تكرم العذراء مريم إكرامًا جزيلاً رغم إيمانها بالطبيعتين وهذا مما يؤكد لنا أن الخلاف الآن في موضوع الطبيعتين بين الكنيسة القبطية والكاثوليكية هو **خلاف لفظي** يحتاج إلى مجمع من الكنيستين لإصلاحه. والحق يقال أن الكنيسة الكاثوليكية هذه الأيام تسعى جاهدة لإصلاح ما أفسده الدهر لكي ننتهي جميعًا إلى وحدانية الإيمان للكنيسة الواحدة كما أرادها السيد المسيح.

والأقباط الكاثوليك في مصر يقولون في قداسهم الاعتراف الأرثوذكسي بالطبيعة الواحدة بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير – وبذلك يقتربون في فكرهم للكنيسة الأم أكثر مما إلى كنيسة روما.

نشكر الله من أجل كل مجهود وكل صلاة مخلصة من أجل الوحدة بين الكنائس... **الوحدة في الإيمان وليست الوحدة العالمية المظهرية.**

إن وصول جسد مارمرقس إلى كنيسته الأولى لهو خطوة جريئة من بابا روما نحو العمل الموحد – لكي تكون بمصر كنيسة واحدة كما كان من مائة سنة.

وإن ظهور السيدة العذراء في العام الماضي بالزيتون لهو لفتة سماوية من العذراء نحو الكنيسة التي ثبتت لها لقب والدة الإله وأم النور – ودافعت عن هذا اللقب (الإيمان بالطبيعة الواحدة) خمسة عشر قرنًا رغم الاضطهاد والنقد المستمر لها من الخارج.

الله القدوس الذي أحب الكنيسة وبذل ذاته لأجلها يعود بها إلى وحدة الإيمان لكي تكون جسدًا واحدًا آمين.